بسم الله الرحمن الرحيم

دروس الحديث الشريف **الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال**

سلسلة الأحاديث القدسية

((آثار المعصية))

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم، على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الله تعالى في الحديث القدسي:

((**إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ**))[البخاري]

فإن عملها فاكتبوها بمثلها أي اكتبوها سيئة واحدة، **وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة** أي إذا كان نوى أن يعمل سيئة، ثم خاف من الله سبحانه وتعالى، وتذكّر وراقب الله فتركها وانصرف، فاكتبوها له حسنة. **وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة** أي فقط على نيته اكتبوها له هذا الحديث عند الإمام البخاري.

إذاً صار عندنا:

- ✓ السيئة إذا عملتها تكتب واحدة، والحسنة بعشر أمثالها.
- ✓ والسيئة إذا نويتها، ولم تفعلها خوفا من الله، كُتِبت حسنة.
- ✓ والحسنة إذا نويتها ولم تفعلها كُتِبت حسنة.

لذلك أحد الصالحين كان يقول: **تَعِسَ عبد غلبت آحاده عشراته.**

السيئات آحاد، أي كلها واحد واحد، أما الحسنات فكلها عشرات، أي عشرات عشرات، والله يضاعفها بإذنه إلى سبعمائة ضعف.

فتخيّل رجلاً نُصِب له الميزان يوم القيامة، فكانت الآحاد أكثر من العشرات، ما أسوأ هذا العبد!.

سأذكر عشرة أقوال في المعصية، وماذا تفعل المعصية، وذلك حتى يجتنب أحدنا ما استطاع المعصية، ويجاهد نفسه عن المعصية.

أولا: ما هي المعصية ؟.

المعصية هي: ترك المأمور به، وفعل المنهي عنه، والإضرار بالناس، ومنع الخير عنهم.

آ ـ ترك المأمور به معصية:

- فمثلاً الله عز وجل أمرنا بالصلاة فإذا تركتها، فهذه معصية.
- الله عز وجل أمر المرأة بالحجاب، فإذا تركته هذه معصية.

ب ـ فعل المنهي عنه معصية:

- الله نهانا عن شرب المسكر، فشرب البيرا الذي فيها نسبة كحول 2% أو 1% هذه طبعاً معصية.
- الله نهانا عن الاختلاط المحرم بالفتيات، وتجد بعض الناس يختلط بهم هذا معصية، والله تعالى نهى عنه، وهو يرتكبه!.

ج ـ إيصال الضرر إلى الناس:

- إيذاء الخلائق معصية، سواء كانوا صغاراً أو كباراً، وسواء أكان الإيذاء باللسان، أو بالمال، أو بالعرض، هذا معصية.

د ـ منع الخير عن الناس معصية:

أن تمنع إيصال الخير إلى الناس بطريقة أو بأخرى هذه معصية.

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((**البر لا يبلى، والإثم لا ينسى، والديان لا يموت، فكن كما شئت كما تدين تدان**)). [البيهقي].

عمل الخير الذي تعمله اليوم لا يبلى أبداً، الآن يوجد دراسات علمية تقول: أن أي حركة في الكون لا تتلاشى، يعني مثلاً أنا خفضت يدي، انتهت الحركة، وأنتم لم تعودوا تروها، لكن في الحقيقة، هناك ذرّات ضغطت إلى الأسفل ، وذرّات تمددت إلى الأعلى ، هذا الضغط والتمدد لا ينتهي في الكون، وهو يطير في الهواء.

((**البر لا يبلى**)) أي عمل خير فعلته إياك أن تظن أنه يذهب، وإذا الناس لم يعرفوا حقك فلا تخف، حقك محفوظ لذلك افعل البر وافعل الخير.

((**والذنب لا ينسى**)) مسجّل عليك، والله هذا شيء خطير جداً، وقد جاء في الحديث:

((**يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعًا وَبَصَرًا وَمَالًا وَوَلَدًا، وَسَخَّرْتُ لَكَ الْأَنْعَامَ وَالْحَرْثَ وَتَرَكْتُكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ، فَكُنْتَ تَظُنُّ أَنَّكَ مُلَاقِي يَوْمَكَ هَذَا قَالَ: فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ لَهُ الْيَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي**))[البيهقي].

سيسجل عليك: لقاءاتك، مكالماتك اليومية، رسائل الجوال، حديثك مع صاحبك وحدك في غرفة خاصة، جلستك أنت والمحاسب في الشركة، ماذا رتّبت أنت وشريكك في الصفقة في الصين، ماذا تريدون أن تفعلوا ؟....ويكفيك إذا كان الله هو الذي سيقرؤه!.

صرختِ في وجه والدتك، واعدتِ إنساناً لا يحل لك أن تجتمعي معه، أرسلت برسالة....كله مسجل، و **الرقيب قريب منك، وهو معك.**

((**البر لا يبلى، والإثم لا ينسى، والديان لا يموت**))

الديَّان: هو الحاكم الذي سيحاكمك، أي هو رب العالمين .

اعمل ما شئت فكما تدين تدان.

أقبح شيء يُرى يوم القيامة ذو لحية بيضاء، بيده صحيفة سوداء!، هذا منظر مروِّع، لذلك جاء في حديث للنبي صلى الله عليه وسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**)) يعني أن يزني الشاب معصية، لكن رجل بلغ أربعين عاماً، أو خمسين عاماً ولا زالت له علاقات محرّمة في الشرع!.

إذا رأيت ربك يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذره !.

هذا أمر مهم لكل إنسان، إذا رأيت المعاصي منك والنِّعم تنزل عليك، فإياك أن تظن أنه لا يراك، أو أنك رجل جيد، قال الله تعالى: ﴿ . . . . . سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[القلم:44].

قال المفسّرون في تفسير هذه الآية: كلما أحدثوا لنا معصية، أحدثنا لهم عندها نعمة.

هو يعصي، والله تعالى يُغدِق عليه بالنِّعم، فيظن أن الأمور جيدة، ويتابع ويستمر على معصيته، ولا يعلم أن الله يستدرجه!.

الذي يصعد السلّم، ويسقط من الدرجة الثانية، لا يصيبه شيء، ومن الخامسة لا يتضرر قد يتضرّر قليلا، أما المشكلة إذا وصل إلى الدرجة الخمسين أو الستين، فإنه غالباً ما تكون القاضية!.

احذر من أن تكون النِّعم استدراج، أنت تعصيه وهو لا يحاسبك!.

أُوتي بسارق إلى سيدنا عمر رضي الله عنه، فقال السارق: يا أمير المؤمنين هذه أول مرة أسرق بها، أسألك بالله ألا تفضحني !، فقال عمر: كذبت، إنها المرة الأربعون التي تسرق فيها!.

فذُهل السارق، ثم قال: والله يا أمير المؤمنين إنها الأربعون ولكن ما أدراك؟!.

فقال عمر: **لأن الله لا يفضح من المرَّة الأولى.**

إذا كنت تعصي الله ولا أحد يعلم من الخلق، فاحذر من الله تعالى، فهو يستر أول مرة، وثاني مرة، و...،ثم بعدها!.

إذا كنتِ تذهبين إلى أماكن لا ترضي الله، وتكرّر ذلك منك، فاتقي الله، فقد اقترب موعدك، فإذا فضحك فستكون الفضيحة كبيرة!.

ونخشى أيضا أن يكون العقاب أشد !.

إذا رأيت ربك يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذره.

يروى عن سيدنا عيسى عليه السلام أنه قال:

يا رب من أشرف الناس؟، فأوحى الله إليه أشرف الناس من عَلِمَ أني معه فأجلّ قدري عن أن يظهرني على معاصيه.

جلست وحدك في الغرفة والباب مغلق، فإذا كنت تراقب الله، وتعلم أنه معك، فأنت أشرف الناس!.

عَلِمَ أني معه فأجل قدري عن أن يظهرني على معاصيه.

أحيانا شاب يذهب إلى تركيا مثلاً، رحلة سياحية وهناك لا يوجد أحد من أهله، فلعله يذهب إلى أماكن لا ترضي الله عز وجل ظنّاً منه أنه لا أحد من عائلته، ولا من أسرته، ولا من أقاربه يعلم،**لكن الله معك وسجّل ماذا فعلت في تركيا أو في غيرها!.**

أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه: إذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني. [رواه ابن أبي الدنيا] .

أهل المعاصي هانوا على الله فعصوه، ولو كرِموا عليه لمنعهم من المعاصي!.

لا تستبطئ الإجابة وقد سُدّدت طرقها بالذنوب.

ليس المؤمن هو الذي لا يعصي الله، لكن المؤمن هو الذي إذا عصاه رجع إليه.

كلنا تزل أقدامنا، لكن لا تخطط لمعصية، لا تضع برنامج للمعاصي، وإذا زلّت قدمك فقم وارجع إليه فوراً .

قال بعض الصالحين: **خف من وجود إحسانه إليك، ودوام إساءتك معه أن يكون ذلك استدراجاً لك!.**

واعلم: **إن للسيئة ظلمة في القلب وشناً في الوجه** –يعني بشاعة في الوجه– **ووهناً في البدن ونقصاً في الرزق، وبغضةً في قلوب الخلق.**

فجأة تجد نفسك تقول:

- لماذا الناس يكرهوني؟
- لماذا أنا وأمي لا نتفق ؟حاولت أن أرضيها بكل الطرق ولم ترض، والله أن منزعج من هذا، لماذا أمي هكذا دائماً لا تتفق معي؟!
- أبي لا أعلم كيف أتفاهم معه!.
- أخي لا يتوافق عقلي مع عقله!.

إن للسيئة ظلمة في القلب، وشناً في الوجه، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق،وبغضة في قلوب الخلق. وبالمقابل نجد أن **الحسنات عكس ذلك!.**

ابن قيم الجوزية له كتاب مفيد اسمه **الفوائد**، كتب فيه ملخصاً عن آثار المعاصي والذنوب، من أجل أن يجتهد أحدنا قدر ما يستطيع أن يترك الذنوب.

الآن في رمضان بشكل عام، الجو إيجابي، يعني يوجد إقبال نحو الطاعة، والله يدربك في هذا الشهر يعني الآن: أنت تتدرب على فعل الخيرات، تتدرب على فعل المأمورات، تتدرب على ترك المنهيات، تتدرب على إيصال النفع للناس، تتدرب أن لا تؤذي أحداً من الخلق، فيجب أن تكون تغيرّت خلال هذه الدورة الرمضانية.

يقول ابن قيم الجوزية ملخّصاً آثار المعاصي:

في المعصية قلّة التوفيق وفساد الرأي، وخفاء الحق -آراؤك في الغالب ليست جيدة- **وخفاء الحق** -لم تعد ترى الحق جيداً، يُغلَق دونك الحجاب-.

أنت تعجب عندما تسمع أن شاباً (والعياذ بالله) قتل شابين اثنين، تخيّل كيف يقتل مسلم مسلماً؟! كيف يقتل إنسان إنسانا آخر؟! هنا يوجد خفاء للحق، لم يعد يرى ما تراه أنت، لم يعد يفهم ما تفهمه أنت، لم يعد يشعر ما تشعره أنت، كثرة المعاصي تجعل غطاء على القلب.

كيف أن شاب عفيف ابن عائلة عفيفة، يهتك عرض فتاة! هذا لا يتصور، أنت لا تستطيع أن تتخيل هذا الأمر، لكن كيف هو يفعل هذا ؟! هنا يوجد خفاء للحق هو لا يرى ما تراه أنت، ولا يسمع ما تسمعه أنت، ولا يفهم ما تفهمه أنت، ولا يشعر ما تشعره أنت.

كيف رجل يعتدي على مال شريكه جهارا نهاراً، وهو يعلم أنه مئة بالمائة يأكل مالاً حراماً؟! يوجد خفاء للحق على هذا الرجل، فهو لا يسمع ولا يرى ولا يفهم.

***المعصية المتكرّرة تجعل غطاء على القلب*، في المعصية خفاء الحق، وفساد القلب، وخمول الذكر، وفي المعصية إضاعة الوقت، ونفرة الخلق، وفي المعصية وحشة بين العبد وربه، والمعصية تؤدي إلى منع استجابة الدعاء وفيها قسوة القلب، ومحق البركة في الرزق والعمر.**

هناك أناس (سبحان الله) تنظر إليه في الأسواق التجارية تراه ممدوحاً من كل الناس، إذا كان طبيباً مثلاً تجد سمعته طيبة، حيث ذهبت، عند الصغار والكبار تجد ثناء عليه، إذا كان موظفاً فهو ممدوح ومشكور من معظم أصحابه ومدرائه.

وبالمقابل المعصية تجعل الإنسان خامل الذكر، إذا ذكر لعن، إذا ذكر شتم، إذا ذكر استُعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

وفي المعصية إضاعة الوقت ،ونفرة الخلق.

الخلق يهربون منه، حتى زوجته لا تريده، حتى أولاده لا يريدونه!.

وفي المعصية وحشة بين العبد وربه.

يصلي فيشعر بأنه مستعجل يريد الانتهاء من هذه الصلاة، هناك نفرة بينه وبين ربه.

والمعصية تؤدي إلى منع استجابة الدعاء.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ**)) [مسلم].

وفيها قسوة القلب ، ومحق البركة في الرزق والعمر.

يقول لك : كل شهر أصرف مائتي ألف ليرة، لا أعلم أين يذهب المال !لا يوجد بركة في الرزق.

جاءني رجل وقال لي: كل شهر أصرف مئة و خمسين ألف ليرة ، ولا أعلم كيف تذهب! بالمقابل تجد شخصاً مصروفه في الشهر خمسة عشر ألف ليرة سورية، وتجده يعيش هو وامرأته وأولاده. سبحان الله يوجد بركة في الرزق.

ومحق البركة في العمر : تجد الرجل عمره أربعين أو خمسين عاماً تقول له: ماذا فعلت في حياتك؟ فيقول لك: والله لم أفعل شيئاً ، أكلت وشربت وتزوجت . ما هذه الحياة ، وما هذا العمر الذي ضاع هباء؟!.

وبالمقابل فإن هناك من يستفيد من وقته ، ومن حياته، ومثال على ذلك:

أحد الإخوة يدرّس في دورات القرآن الكريم ؛ شاب يدرس في كلية الشريعة، وفي كلية الأدب العربي، وهو موظف يعمل على الهاتف في إحدى وزارات الدولة، ومع كل هذا هو ضرير لا يرى بعينيه!.

الذين يُبصرون يمكثون في كلية الأدب العربي فترة طويلة، وهو يدرس أدب عربي وشريعة معاً !وهو مجتهد .

هناك أناس موفقين، وهناك أناس ضيّعوا أعمارهم خمسين وستين سنة ضيّعها هكذا!

محق البركة في الرزق والعمر .

ومن عقوبات المعصية حرمان العلم:

يقال بأن الإمام الشافعي كان إذا حمل المصحف وضع يده على الصفحة اليسرى، لأنه كان إذا نظر إلى السطر حفظه فوراً، فحتى لا تتداخل الأسطر مع بعضها، فَعل ذلك!.

مرّة شعر الإمام الشافعي بأن الحفظ تعسّر عليه، وكان له شيخ اسمه وكيع، فشكى إليه ذلك فقال:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصي

من عقوبات المعصية حرمان العِلم ولباس الذُل.

كان بعض الصالحين يدعو فيقول: **اللهم أعزّنا بطاعتك ولا تذلّنا بمعصيتك.**

أحيانا تجد رجلاً كبيراً، وله مكانة عالية، لكنه يتبع شهوته، ممكن امرأة ساقطة تجعله يقبّل حذاءها، (والعياذ بالله) هذا ذُل!.

مرّة عميد كلية خرج في رحلة مع طلاب الكلية، فدخلوا إلى مقصف، والطلاب مع العميد، والعميد أستاذ جامعي واختصاصه نادر جداً، فدخلوا إلى إحدى المقاصف فقدّم المقصف الخمر، فشرب العميد حتى ثمل، فجعل الطلاب يضربون له على الطبل، والعميد يرقص، وعندما وجدوا أنه قد ثمل أخذ بعض الطلاب بشدّه من ثيابه، وسحبه، كما يسحب ويساق مخلوق آخر! والتقطوا له صور وهو على ذلك الحال!.

المعصية ذل، اللهم أعزّنا بطاعتك ولا تذلنا بمعصيتك.

من عقوبات المعصية لباس الذل وإهانة العدو: يصبح عدونا يتسلّط علينا.

ومن عقوباتها :ضيق الصدر والابتلاء بقرناء السوء: يصبح كل جوك معاصي.

وطول الهم والغم وضنك المعيشة .

وعلى كل الأحوال إذا عصيت الله، ارجع فوراً ، وتب إلى الله.

وتعالوا كلنا نرجع إلى الله عز وجل، ونُقبل عليه، ولا ندري لعل الذهاب إليه يكون قريباً، فتعالوا نقبل على الله سبحانه وتعالى تائبين، ولنجتهد بالطاعات، ولنبتعد عن المعاصي.

نسأل الله تعال أن يوفّقنا إلى ما يحبه ويرضاه، وأن يُبعدنا عما يكرهه ويأباه.

بسم الله ما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم حبّب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا يا إلهنا من الراشدين، اللهم إنا نستغفرك من كل ذنب أذنبناه، أخفيناه أو أعلناه، اللهم سامحنا وتجاوز عنا، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.